ملامح من العِمارة في مالي في الفترة من (القرن ٨ – ١٠هـ)

Features of Architecture in Mali From 8th to 10th Century

الملخص: تتناول هذه الدراسة نماذج من طرز العمارة الإسلامية في دولة مالي التي تقع في مناطق غرب أفريقيا، والتي شهدت آراضيها قيام العديد من الممالك الإسلامية القديمة، وهي البلاد المعروفة بمصطلح "السودان الغربي"، وقد شهدت تلك المنطقة تأسيس عدد من الممالك الإسلامية الكبرى التي كان لها أعظم الأثر الحضاري في تاريخ أفريقيا الإسلامي، ولعل أبرزها: مملكة غانة، ومملكة مالي، ومملكة صنغي..الخ. وقد تناولت الدراسة نماذج من العمارة الأثرية المتنوعة–مساجد، وقبور، وبيوت، ومدارس..وغيرها– في ثلاث مدن إسلامية في مالي: جاو، وتمبكتو، وجني، وهي من أكبر المدن الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء، شيدت تلك النماذج في فترات زمنية متباينة (ق ٨–١٠هـ)، ولعل الفائدة من ذلك أنها تقدم لنا تصورًا واضحًا عن سمات العمارة الأفريقية في العصر الإسلامي، وخصوصيتها التي تميزت بها في هذه البلاد. ومن أبرز النماذج: مسجد جني، وتقع جني بالقرب من نهر النيجر، ويعتبر مسجدها واحدًا من أكبر المنشآت التي شيدت بالطين في العالم، كما تناولت الدراسة نماذج من مساجد تمبكتو، وبيوتها، وقبورها، وهي من أعظم مدن الإسلام في غرب أفريقيا، هذا إضافة لقبر أسكيا محمد في جاو..الخ، وهو من أعظم سلاطين غرب أفريقيا في العصر الإسلامي.

الكلمات الدالة: الآثار الإسلامية، غرب أفريقيا، مالي، جاو، جني، تمبكتو، جاو..الخ.

Abstract:This Study deals with some examples of Islamic Architecture in Mali, located in West Africa, whose lands witnessed the emergence of many ancient Islamic Kingdoms in Africa, the most prominent of them: Kingdom of Ghana, Mali, Songhai..etc. The Study talks about models of Architecture, especially in three cities showing different models of mosques and Houses & Royal Tombs that were built during different periods from 8th to 10th Century AH. They show clear features of Islamic Architecture in Africa, and its specificity in these African Kingdoms. Perhaps one of the most prominent architectural models: Jennie Mosque, which is one of the well-known Islamic cities in West Africa, located near the Niger River, and it is considered one of the largest Constructions built with mud in the world. It also dealt with mosques of Timbuktu, which is one of the greatest cities of Islam in the West Africa, in addition to the tomb of Sultan Askia Muhammad in Gao, one of the greatest sultans of West Africa during the Islamic era, and these architectural buildings are located in the current state of Mali.

Key words: Islamic antiquities, West Africa, Mali, Gao, Geni, Timbuktu, Gao

المقدمة:

تناولت العديد من الدراسات العلمية جوانب من العمارة الإسلامية في شمال أفريقيا، والمغرب، لكن يبدو لنا بشكل واضح قلة الدراسات الأثرية، بل وندرتها خاصة فيما يخص طُرُز العمارة الإسلامية في ممالك أفريقيا جنوب الصحراء، ولاسيما تلك المناطق المعروفة بمصطلح "السودان الغربي"[١] بحسب المصادر، وهي البلاد التي تقع في مناطق غرب أفريقيا جنوب "الصحراء الكبرى"، وهي التي شهدت قيام العديد من الممالك الأفريقية المزدهرة إبان العصر الإسلامي. وتهتم هذه الدراسة بآثار تلك المناطق الإسلامية التي لاتزال مجهولة بالنسبة لنا، وكذلك لإلقاء مزيدٍ من الضوء حول التأثيرات الإسلامية على طرز العمارة في هذه البلاد. وتركز الدراسة على طرز العمارة في مالي باعتبارها نموذجًا من نماذج العمارة الأفريقية. ولاريب أن تلك المنطقة الأفريقية لاتزال حقلاً بكرًا لمزيد من الدراسات الأثرية بفضل ثرائها بأنماط متباينة، ومتنوعة من طُرز العمارة الإسلامية منذ قرون بعيدة، وبما تحمله آثارها التقليدية من سمات فنية تميزها عن باقي العالم الإسلامي. وعلى هذا تهدف الدراسة لرصد نماذج من العمارة الإسلامية في ثلاثة مدن في مالي: جني، جاو، وتمبكتو تؤرخ لحوالي (القرن ٨-١٠هـ).

أولاً- نُبذةٌ عن ممالك غرب أفريقيا الإسلامية:

شهدت منطقة غرب أفريقيا، أو "السودان الغربي" Western Sudan جنوب الصحراء ظهور العديد من الممالك في العصر الإسلامي. وتُعتبر "الصحراءُ الكبرى" Great Sahara، حيث ظهرت تلك الممالك، أكبر صحاري العالم، وهي أكثرها اتساعًا، وامتدادًا جغرافيًا[٢]، وتضم تلك الصحراء أقاليم شاسعة

---

[١] السودان الغربي: يطلق هذا المصطلح على غرب أفريقيا حاليا، وكان المؤرخون أطلقوا على بلاد جنوب الصحراء التي تمتد من ساحل غرب أفريقيا على المحيط الأطلنطي، وحتى البحر الأحمر: بلاد السودان. ثم قسموها لتقسيمات: السودان الغربي: أو غرب أفريقيا وقامت بها ممالك:غانة، ومالي، وصنغي..الخ. والسودان الأوسط: وقامت بها ممالك الكانم والبرنو (تشاد). والسودان الشرقي: وفي الغالب تشير لبلاد القرن الأفريقي، والسودان الحالي بحسب البعض، وساحل شرق أفريقيا (بلاد الزنج). بينما يطلق البعضُ على السودان الحالي: السودان الشمالي، أو بلاد السودان الشرقي، وكذلك سودان وادي النيل..الخ.

[٢] سام، وبرايل إيشتين، *كل شئ عن (الصحراء)*، طـ٦، ترجمة: مصطفى بدران، دار المعارف، مصر ، ١٩٨٩م، ٨٠-٨٤

وانظر: جراية، محمد رشدي، "الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث"، *رسالة ماجستير*، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٨م، ١٢. وللمزيد عن الصحراء، انظر:

Lhot, H., *A la Decouverte des Fresques du Tassili, Arthaut*, Paris, 1973, 66.

De Pois, J., *Geographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 1967, 14.

The New American Desk Encyclopedia: New York, 1984, 1034.

الامتداد، ومن ثمة فلها أهميةٌ كبيرةٌ جغرافيًا وتاريخيًا. ولايزال تاريخ هذه الصحراء الجيولوجي قبل الإنسان، وحتى بعده أمرًا يكتنفه الغموض[٣]. ولعل أقدم الممالك الأفريقية في غرب أفريقيا: مملكة غانة الإسلامية، ويرى البعضُ أن غانة قدمت أول تنظيم سياسي معروف في ممالك جنوب الصحراء خلال العصر الوسيط[٤]. ومعلوم أنه يرتبط تأسيسُ "مملكة غانة" بـــ"الذهب" وتجارته أكثر من غيرها من ممالك غرب أفريقيا، ومن ثم صار حُكامُ هذه البلاد يُعرَفون بـــ"ملوك الذهب"[٥]. وقد اختلفت الآراء حول تأسيس "مملكة غانة"، فالبعضُ يؤرخها لحوالي الفترة (٤٦٩-٦٠٠هـــ)[٦]. بينما يرى آخرون أن تأسيسها يرجع لحوالى القرن ٢م، بينما يرى آخرون أن جماعات من المُهاجرين القادمين من شمال أفريقيا قدموا إلى غانة، ثم استقروا بعد ذلك بين سكان هذه البلاد، وهم شعوب "الماندي" ("الماندنجو")، ووامتزجوا معهم

---

[٣] تبلغ مساحة الصحراء حوالي ١٠ مليون كم مربع، وهي مساحة تُعادل تقريبًا ثُلث مساحة أفريقيا، ويبلغ امتدادها حوالي ٥٠٠٠ كم من "البحر الأحمر" في أقصى الشرق وحتى سواحل "المحيط الأطلنطي" في أقصى الغرب، وللمزيد انظر: إيشتين، *الصحراء*، ٧٦؛ صالح، عبدالصادوق ، *الفن الصخري في شمال الجزائر*، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ١٥وللمزيد عن الصحراء الكبرى، وجغرافيتها، انظر:

Early Islamic Civilization and African Kingdoms: Core Knowledge History & Geography, 2017, 51.
Hugot H. J., *le Sahara avant le Desert*, Hesperides, Pars, 1974,. 56.
Gautier E. F., *le Sahara*, Paris, 1928.

أما من ناحية امتداد الصحراء بالميل المربع فتبلغ مساحتها حوالي ٣.٥ مليون ميل مربع، وللمزيد انظر:

The New American Desk Encyclopedia: Op. Cit. 1034.

[٤] الشكري، أحمد، *مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية*، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ١٩٩٧م، ٧. ، وعن تأسيس مملكة غانة، يقول أحمد الشكري: "شكلت مملكة غانة أول تنظيم سياسي عرفته بلاد السودان خلال العصر الوسيط، وإذا كنا نجهل الشيء الكثير عن أصولها التاريخية، فإن الشهادات العربية في زمن أبي عبيد البكـــري، ثـــم الشـــريف الإدريـــس استطاعت أن تنتشلها من أعماق التاريخ المظلم والغامض إلى حيزة المضاء، الشيء الذي مكننا من الوقوف علـــى بعـــض التطورات التي عرفتها المملكة خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة (١١-١٦م) ، الشكري، *مملكة غانة*، ٧.

[٥] البكري، ابي عبيد بن عبدالله بن عبدالعزيز، *المُغرب في ذكر أفريقية والمغرب*، دار الكتاب الإسلامي، ط.١، القاهرة، د.ت، ١٧٦.

القلقشندي، ابي العباس أحمد، *صُبح الأعشى في كتابة الانشا*، جـــ٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ٢٨٤؛ طرخان، إبراهيم علي، *امبراطورية غانة الإسلامية*، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، ٢٨.

[٦] وعن تأسيس غانة، انظر: البكري، *المُغرب*، ١٧٤؛ القلقشندى، *صبح الأعشى*، ٢٩٣؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود *آثار البلاد وأخبار العباد*، دار صادر، بيروت، د.ت، ٥٧؛ طرخان، *امبراطورية غانة*، ٢٢-٢٤. ويرجع البعض تأسيس غانة للألف الأول ق.م دي، ميديروس، *شعوب السودان*، تاريخ أفريقيا العام، جـــ٣، طبعة اليونسكو، لبنان، ١٩٨٨م، ١٥٤. ويرى البعض أن غانة تأسست إبان القرن ٨م، وللمزيد انظر:

Dobler, Lavinia & A. Brown, William, *Great Rulers of the African Past*, Zenith Books, New York, 1965, 97

لاسيما قبيلة "السُوننك" Soninke[٧]. ولما سقطت غانة، حلت محلها "مملكة مالي" (حوالي ٥٩٦-٨٧٤هـ). وتمكن حكام مالي من السيطرة على أكثر آراضي غرب أفريقيا، ولذلك لعبت دورا أكثر أهمية من ذلك الدور الذي قام به ملوك غانة. ولايُعرف على وجه اليقين متى نشأت مملكة مالى، ولعل ذلك يرجع في المقام الأول نظـــرًا لشـــُح ما ورد في المصادر التى تحدثت في هذا الشأن، وقد اختلفت الآراء بشكل واضح حول الحقبة الزمنية التي تم تأسيس "مملكة مالي" خلالها، ولهذا فليس من المستغرب أن نجد تواريخ مختلفة من مرجع لآخر، بل وحول الفترات الزمنية التي حكم خلالها ملوك مالي. وتلك المملكة الأفريقية أقامها "الماندنجو"، وهو شعب يشكل واحدا من أكبر المجموعات القبلية الأفريقية، إن لم يكن أكبرها بالفعل، ومن هذا التجمع القبلي الكبير خرجت العديد من القبائل والبطون الأفريقية الأخرى لاسيما في السودان الغربي[٨]. وكانت تخوم مالى قديماً تقـــع فيما بين الكانم والبرنو[*] شرقـــا، و"المحيط الأطلسى" غربا، وجبال البربر شمالاً[٩]. بينما ظهرت صُنغي Songhai (٧٧٧-١٠٠٠هـــ) بعد سقوط مالي. وتُكتب هذه السلطنة: "صُنغاي"، و"سُنغي"، أو سُنغاي، وهو اسم الشعب مؤسس هذه السلطنة في غرب أفريقيا[١٠]. ولايعني ذلك أن "سلطنة صُنغي" ظهرت مباشرةً بعد سقوط "مملكة مالي"، بل إنها تأسست خلال وجودها، لكن برز دورها بشكل كبير بعد انهيار مملكة مالي. وينقسم تاريخ "سلطنة صُنغي" لحقبتين، الأولى: وتعرف بـــ"عصر آل سُني" (٧٧٧-٨٩٩هـــ)، وأهم ملوكها "سُني علي"[١١]، ويُنطق أيضا: "سُوني علي"[١٢]. أما "الثانية": فإنها تُعرف بـــ"عصر الأساكي"[١٣]، نسبةً للقب "أسكيا" الذي حمله ملوك

---

[7] يطلق عليهم أيضاً "السراكولي"، ويُعتبر السوننك من بين الشعوب التي تنتسب إلى تجمع أفريقي قبلي أكبر، وهم : السوننك شعوب "الماندنجو"، وهم يتميزون بأنهم من شعوب الماندنجو التي سكنت المناطق الشمالية، وعلى هذا فإنهم هم غير شعوب الماندنجو الجنوبيين (أو المالنكي). وقد أسس "السوننكي" العديد من المدن والممالك التي صارت جزءا من مملكة غانة، انظر: F., Willie, Page,*Encyclopedia of African History & Cultures*, Vol. 11, New York, 2005, 208

[٨] الماندنجو: من الشعوب الأفريقية المعروفة في غرب أفريقيا، وقد لعب الماندنجو دورا مهما في تاريخ غرب أفريقيا، وينسب لهم تأسيس مملكة مالي. ويطلق على هذا الشعب العديد من التسميات، منها: المالينك، الماندن، والماندنجو..الخ. وكان ينتسب لهذا الشعب العديد من البطون المعروفة: السوننك، البامبارا، والولوف..الخ. وللمزيد، انظر: كامرة، موسى، *زهور البساتين*، ٣٨-٤٠.)

[*] الكانم والبرـــنو: ظهرت قرب بحيرة تشاد وتشتهر ببلاد السودان الأوسط، ويقال سميت البرنو بذلـــك لأنها هى التى عاش بها نوح عليه السلام، ولهذا فاسم البرنو يعنى أرض نوح فى لغتهم. وقامت مملكة برنو بعد سقوط الكانم. يقول ك. ماكفيدى: "وخرجت الأسرة المالكة التى كانت تحكم مملكة الكانم ، وكونت مملكة جديدة هى مملكة بورنوه (البرنو) مكفيدى، *أطلس التاريخ الأفريقى*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.

[٩] حسن، ابراهيم حسن، *انتشار الاسلام فى القارة الأفريقية*، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م، ١٠٢.

[١٠] كعت، محمود، *تاريخ الفتاش*، مطبعة بردين، أنجي، ١٩١٣م، ٢٩.

[١١] السعدي، عبدالرحمن بن عمران بن عامر، *تاريخ السودان*، مطبعة بردين، أنجي، ١٨٩٨م، ٦٤.

[١٢] الوزان، الحسن بن محمد، *وصف أفريقيا*، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، هيئة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ٥٣٤.

هذه الفترة، ومؤسس الحقبة الثانية من تاريخ صُنغي: "أسكيا محمد" (٨٩٩-٩٣٥هـ)[١٤]. ويقال إن أصل ملوك صنغي القدامى بحسب بعض الروايات من نسل الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري[١٥]، وقيل غير ذلك فيما يخص أصل حكام هذه الأسرة الحاكمة.

شكل رقم ١:

خريطة توضح المدن الإسلامية الثلاثة الكبرى في مالي: جني، جاو، وتمبكتو.

ثانيًا- نماذج من العمارة في مدينة جِنِي:

تقع "جني" **Djenne**، أو "جينيه"، في الطرف الجنوبي من الدلتا الوسطى لنهر النيجر في مالي حاليًا، ويكتب اسمها بكسر الجيم، وتعتبر "جني" من أشهر المدن الإسلامية خلال حكم الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا: غانة، ومالي، وصنغي[١٦]. وبحسب البعض، اسم "جني"، أو "دجني" مشتق من لفظ

---

[١٣] سيسوكو، س. م.، *الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر*، تاريخ أفريقيا العام، جـ٤، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٨٨م، ١٩٩.

[١٤] وللمزيد عن تأسيس صنغي، انظر: كعت، *تاريخ الفتاش*، ٢٩؛ السعدي، *تاريخ السودان*، ٦٤؛ حسن، سوزي اباظة محمد ، "القضاء في صنغاي في عهد الأساكي"، *مجلة المؤرخ المصري*، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، ع. ٢٨، يناير ٢٠٠٥م، ٣٥٠-٣٥١؛ باز، كرم الصاوي، *دراسات في تاريخ بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط في العصر الإسلامي*، الأفريقية الدولية، القاهرة، ٢٠١٦م، ٣٩. وللمزيد عن مملكة صنغي، سيسوكو، الصنغي، ٢٠٠. وانظر:
Fage, J. D.: *A History of West Africa, Cambridge University Press*, 1969. 26-31

[١٥] السعدي، *تاريخ السودان*، ٦٤.

[١٦] فيرني، روبير، *الأركيولوجيا في أفريقيا الغربية*، ترجمة: بوبه ولد محمد نافع، نواكشوط، ٢٠٠٢م، ١١٠

"دياني"، أي: ضيا (أو ديا) الصغيرة، وهو في الغالب اسم أحد الأسرات الحاكمة القديمة (أسرة ضـــيا)[١٧]. وبحسب روايات محلية أخرى، يُقال إن أصل اسم "جني" نسبة لأحد الأساطير تربطها ببعض الجن ممـــن كانوا يسكنون بها[١٨].

Figure 16: Une rue de Kouyetendé

Figure 17: Une rue de Sankoré

شكل رقم ٢: نماذج من بيوت جني– نقلا عن:

Ville Ancienne de Djennie- mali: P.49

وبحسب بعض الروايات، تأسست "جني" حوالي القرنين (٨–٩هـــ/١٤–١٥م)[١٩]. وبحسب رأي آخر تأسست "جني" حوالي سنة ٤٩٤هـــ أيام حكم المرابطين لغرب أفريقيا[٢٠]، ويقال أيضا إنها تأسست حوالي سنة ٨٠٠م على يد بعض الوثنيين[٢١]. وأسلم ملك "جني" "كومبرو" نهاية القرن ٦هـ/١٢م، ويقال إنه هدم، وشاد مكانه مسجدًا[٢٢]. ويصفها السعدي: "مدينة عظيمة، ميمونة، مباركة، ذات سعة، وبركة، ورحمة، جعل الله ذلك في أرضها خلقا وجبلة، وطبيعة أهلها التراحم، والتعاطف، المواساة"[٢٣]. وكانت جني بحسب المصادر بها سور ضخم، وكان لها سوق عظيم من أسواق المسلمين، وكانت مركزا تجاريا مهما عبر

[17] Sanogo, K., *Plan de Conservation et de Getion des Villes Anciennes de Djenne-Mali, Republique du Mali,* Ministere de la Culture, le Bureau Multi– Pays, Unesco, Bamako, 2012, 28.

[18] Sanogo, *Plan de Conservation et de Getion des Villes*, 28.

[١٩] فيرني، *الأركيولوجيا في أفريقيا*، ١١٠.

[٢٠] حسن، *انتشار الإسلام*، ٢١٧.

[21] Sanogo, *Plan de Conservation et de Getion des Villes*, 28.

[٢٢] حسن، *انتشار الإسلام*، ٢١٧.

[٢٣] السعدي، *تاريخ السودان*، ١١.

الصحراء، وكانت ملتقى تجار الذهب والملح[٢٤]. ويعتقد أنه من أسباب ازدهارها بفضل صيادي الأسماك، وخضعت جني لملوك مالي وصنغي[٢٥]. ويرى البعض أنه بسبب ازدهار جني الاقتصادي بفضل التجارة[٢٦]، وأصبحت مركز إشعاع إسلامي في غرب أفريقيا، وعلى هذا ازدهرت العمارة بها، وتعدد أشكالها، وطرزها، وشاد فيها الملوك والأمراء المساجد، والمدارس، والبيوت، والأسواق..الخ[٢٧]. وتميزت "جني" بأن ظهر بها نمطٌ من الفن المعماري الذي يصفه البعض بالعمارة العربية– الأفريقية بسبب كثرة الجاليات العربية والبربرية التي كانت تعمل بالتجارة لاسيما في الذهب[٢٨]. ورغم الهزات السياسية التي وقعت في ممالك غرب أفريقيا، حافظت "جني" على زخمها المعماري، وأهميتها كمدينة كبرى، يقول ر. فيرني: "ومثل جاو وتمبكتو، استطاعت جني تجاوز الهزات السياسية والاقتصادية التي مر بها السودان الغربي..واستطاعت كذلك الحفاظ على طابعها المتميز، وخاصة على فنها المعماري العتيق، وجني الآن مدرجة من طرف اليونسكو في لائحة التراث العالمي"[٢٩].

Figure 18: Vue de la cour intérieure d'une maison de Djenné

شكل رقم ٣: نموذج من بيوت مدينة جني– نقلا عن:

Ville Ancienne de Djennie- mali: 49

[٢٤] السعدي، *تاريخ السودان*، ١١.

[٢٥] فيرني، *الأركيولوجيا في افريقيا*، ١١٠.

[٢٦] حسن، *انتشار الإسلام*، ٢١٧.

[٢٧] فيرني، *الأركيولوجيا في أفريقيا*، ١١٠.

[٢٨] فيرني، *الأركيولوجيا في أفريقيا* ، ١١٠.

[٢٩] فيرني، *الأركيولوجيا في أفريقيا*، ١١٠.

وتشير بعض الدراسات الأركيولوجية إلى أن تأسيس مدينة جني ربما يرجع لعدة قرون قبل الإسلام، بل إن البعض يرجع أنه كانت بها حضارة قديمة خلال القرن ٣ ق.م[٣٠].

شكل رقم ٤: نماذج من قبور جني القديمة– نقلا عن:

Ville Ancienne de Djennie- mali, 61.

وظلت "جني" ومساجدها على مدى قرون حلقة اتصال أساسية بين دول المغرب العربي وجنوب الصحراء الكبرى بلاد السودان. وهي مركزاً هاماً لنشر الإسلام وتدريس القرآن وعلومه في القارة الأفريقية. وقد تأسست المدينة عام ٨٠٠ ميلادية وهي من أقدم المدن الواقعة بجنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا. وأصبحت معبراً مهماً للتجار لنقل بضائعهم من الذهب والملح والعبيد خارج تمبكتو وخلال السنوات الماضية اصبحت جني أيضاً مركزاً للعلوم الإسلامية نظراً لأبرز معالمها المسجد الكبير الذي يزين ميدان السوق. وتشتهر هذه المدينة أيضاً بعمارة الطوب والمتميزة والذي يعد المسجد الكبير من أشهر الدلالات على هذا[٣١].

الجرات المآتمية (الجنائزية):

كشفت التنقيبات الأثرية عن العثور على العديد مما يطلق عليها: "الجرات المآتمية"، (ومفردها: جرة) وهي نوع من الجرات ذات الحجم الكبير، في أطلال مدينة جني القديمة[٣٢]. ولعل هذا النوع من "الجرات" كان تستخدم لمدة طويلة لدفن الموتى بها، ومن المعروف أن هذه الطريقة الغربية فيما يبدو للدفن كانت

[30] Sanogo, *Villes Anciennes*, 28.

[٣١] بلولة، إبراهيم محمد أحمد، *الإسلام في أفريقيا*، المؤتمر الدولي، ٢٠٠٦، ٩٠.

[٣٢] فيرني، *الأركيولوجيا في أفريقيا*، ١٠٠.

متبعة منذ حوالي حقبة القرن الرابع الميلادي، ثم استمرت هذه الطريق للدفن بين السكان المحليين لمدينة "جني" حتى بعد أن تحول هؤلاء السكان إلى الإسلام وبحسب بعض العلماء، استمرت طريقة الدفن بواسطة تلك "الجرات المآتمية" حتى وقت متأخر ربما لعدة قرون غير بعيدة، ويحدد بعض العلماء نهاية استخدام هذه الجرات في الدفن حقبة القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين[٣٣].

Figure 10: Une jarre funéraire à Djenné – Jeno

شكل رقم٥: نماذج من الجرات الجنائزية– نقلا عن:

Ville Ancienne de Djennie- mali: P.41

Figure 11: Jarre funéraire à Hambarketolo

شكل رقم ٦: نماذج من الجرات الجنائزية– نقلا عن:

Ville Ancienne de Djennie- mali: P.41

الجامع الكبير في جِنِي:

[٣٣] فيرني، *الأركيولوجيا في أفريقيا*، ١٠٠.

يعتبر مسجد جني أكبر المنشآت المعمارية التي شيدت من الطين في العالم[٣٤]. ويقع هذا المسجد في ميدان السوق الخاص بالمدينة، وتم البدء في بناء هذا المسجد في سنة ١٢٨٠م على يد الملك ٢٦ في تاريخ جني، واسمه "كوي– كومبورو"Koy komboro[٣٥]. بينما يذكر البعض اسمه: "كي– كمبر"، وقيل: "كمي– كبر"، وهو من أحفاد "جنور" أحد أشهر حكام جني عبر تاريخها[٣٦]. بينما يذكر اسمه السعدي الملك "كنبر"[٣٧]، والراجح أنه هو الاسم الأصح في رأي الباحثة. وتذكر بعض الروايات أن "كنبر" لما أسلم ذهب لأداء فريضة الحج، ثم أقبل على العلم، واشترى في رحلة الحج الكتب، وشجع على طلب العلم[٣٨]. يقال لما عاد من الحج قام بهدم قصر الحكم ثم أمر بناء هذا المسجد الجامع في جني[٣٩]. وبحسب بعض الروايات كان عدد العلماء في أيامه في جني وحدها يبلغ حوالي ٤٢٠٠، وهو ما يشير للازدهار العلمي والثقافي الذي شهدته مدينة جني، وأنها شهدت حركة علمية كبرى، وتأسيس مؤسسات تعليمية عدة، مثل المساجد والمدارس[٤٠]. وعن تأسيس مسجد جني، يقول السعدي في روايته: "ثم أسلموا عند تمام القرن السادس الهجري، والسلطان كنبر هو الذي أسلم، وأسلم معه أهلها (أي جني) بإسلامه..ولما أسلم خرب دار السلطنة، وحولها مسجدا لله تعالى، وهو الجامع.."[٤١].

[34] Sanogo, *Villes Anciennes*, 42.

[35] Sanogo, *Villes Anciennes*,42

[٣٦] الدالي، الهادي المبروك، *مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا*، ط.١ ، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م ، ٤٥.

[٣٧] السعدي، *تاريخ السودان*، ١٢.

[٣٨] الدالي، *مملكة مالي*، ٤٥.

[٣٩] الدالي، *مملكة مالي*، ٤٥.

[٤٠] الدالي، *مملكة مالي*، ٤٥.

[٤١] السعدي، *تاريخ السودان*، ١٢-١٣.

شكل رقم ٧: جانب من المسجد الجامع في جني – نقلا عن:

Ville Ancienne de Djennie- mali: 44

ويتميز المسجد بوجود برجين كبيرين، ويتميزان بارتفاعهما الكبير، وقد تعرض هذا المسجد للعديد من الترميمات بمرور الزمن، ومن المعلوم أن بناء المسجد الجامع الحالي بمدينة جني يرجع بناؤه إلى حوالي سنة (١٩٠٦-١٩٠٧م)، وهو مشيد على أطلال المسجد القديم[٤٢]. ومن المعلوم أن الملك "كنبر" مؤسس هذا المسجد جعل مسكنه الجديد بعد أن هدم القديم لبناء هذا المسجد، جعله بجوار هذا المسجد في طرفه الشرقي[٤٣]. يقول السعدي: "وأنشأ الأخرى لسكناهم، وهي في مجاورة الجامع من جهة المشرق.."[٤٤]. ويتميز مسجد "جني" بأنه الطراز الإسلامي التقليدي، وتوجد قبلة المسجد في اتجاه الشرق، أما المكان المخصص المغطى والمخصص للصلاة تبلغ مساحته حوالي ٥٠م طول، و٢٦م عرضا[٤٥]. كما يتميز المسجد بوجود فناء مفتوح داخلي، ويوجد سقف خاص بالمسجد يتميز بوجود فتحات للتهوية يبلغ عددها مائة وأربع من الفتحات، وكل فتحة منها مغطاة بغطاء من الطين[٤٦]. وقد شيدت جدران المسجد الكبير من الطوب اللبِن الذي يسمى محليا «فيري» وغطيت بالطين المخلوط بالتبن، وهو ما يعطي المبنى بشكل عام مظهره الناعم الصقيل. ويتراوح سمك هذه الجدران بين ١٦ و٢٤ بوصة (حوالي ٤٠ إلى ٦٠ سنتمترا) تبعًا لارتفاع الجدار نفسه. فكلما علا الحائط زاد سمكه حتى يتسنى لأساسه حمل ثقله. وميزة هذه الجدران الطينية هي أنها تقي الداخل من الحرارة طوال اليوم. وعندما يحل المساء والبرد تكون الجدران قد امتصت من الحرارة ما يكفي لتدفئته[٤٧]. وترتفع فوق قبلة المسجد ثلاث مآذن يميزها عن المآذن المعتادة انها مربعة وتستند إلى ١٨ دعامة. لكن كلا منها ينتهي بالمخروط التقليدي الذي يحمل بيضة نعامة. وللمبنى فناء يعادل مساحة المصلى الذي يستند إلى ٩٠ عمودا من الخشب وتتخلل سقفه نوافذ تفتح اذا ارتفعت درجة الحرارة فيه[٤٨].

ويلاحظ من خلال التصميم المعماري للمسجد والذي يشمل على القيم الوظيفية والجمالية معاً مدى مراعاة القواعد الفنية التي تراها العين المجردة من خلال هذا التصميم، كذلك العناصر المعمارية المميزة

---

[42] Sanogo, *Villes Anciennes*, 42.

[٤٣] السعدي، *تاريخ السودان*، ١٢.

[٤٤] السعدي، *تاريخ السودان*، ١٢.

[45] Sanogo *Villes Anciennes*, 42.

[46] Sanogo *Villes Anciennes*, 42

[٤٧] خداش، راضية آيت، "مسجد جينيه الكبير"، *جريدة البيان الإمارتية*، ٢٦ ديسمبر ٢٠١٢م، ٤٤.

[٤٨] خداش، "مسجد جينيه الكبير"، ٤٤.

لهذا المسجد فلاشك أن استخدام المعماري لمادة الطوب اللبن كان ملائما لتلك البيئة الحارة القاسية، وتمتد جذور استخدام الطوب اللبن إلى المسجد الأول الذي بناه النبي ﷺ بالمدينة، ولأن للعمارة الإسلامية شخصيتها وطابعها المميز فمعظم المساجد تحتوي على الجزء الأوسط (الصحن) المكشوف الذي يستخدم للإضاءة والتهوية[٤٩]. وتخللت سقف المسجد نوافذ تؤدي لنفس الغرض وهو الإضاءة والتهوية كما أن استخدام الأعمدة الخشبية والتي بلغ عددها ٩٠ عموداً هي بمثابة الأروقة التي تحيط الصحن الأوسط الخاص بالمسجد. وقد استخدمت المداميك الخشبية في البناء بالإضافة إلى استخدام مادة الطين اللبن (الطوب اللبن) وهو الطين المخلوط بالتبن عن طريق صب أجزاء من الطين[٥٠] وملء الفراغات الموجودة بين المدانيك الخشبية مما أدى إلى زيادة صلابة البناء ونلمح هذا من خلال مجموعة المدانيك الخشبية التي تطل علينا من خارج البناء مما أدى لتقوية البناء.

ثالثًا- نماذج من العمارة في مدينة جاو:

تعتبر مدينة "جاو" Gao واحدة من أعظم المدن الإسلامية في غرب أفريقيا خلال العصر الإسلامي، لاسيما بعد أن صارت جاو عاصمة "سلطنة صُنغي الإسلامية"، وهي تقع في مالي حاليا غير بعيدة عن نهر النيجر. ويصف الرحالة المعربي الحسن الوزان (ليو الأفريقي) مدينة جاو بأنها: "مدينة كبيرة..بدون جدار..وبيوتها قبيحة في معظمها، ومن بينها بيوت جميلة المظهر جدا حيث يقيم الملك وحاشيته. وتسكانها تجار أغنياء، يتجولون دائما في المنطقة مع بضائعهم، ويقصدها عدد لايحصى من السود الذين يجلبون كمية كبيرة من الذهب ليشتروا به أشياء مجلوبة من أوروبا، ومن بلاد البربر"[٥١].

المقابر الإسلامية في جاو:

تتميز مدينة جاو بتعدد طرز العمارة بها ما بين الأسوار، والمساجد، والقبور، وغيرها من المنشآت المعمارية الأخرى، ولعل من أبرز ما كشف عنه في جاو من قبور قبر السلطان أسكيا محمد الذي يعد من أبرز المنشآت المعمارية الإسلامية القديمة التي شيدت بمدينة جاو[٥٢]. كما توجد بمنطقة تدعى جاو- ساني

---

[٤٩] خليل، راوية، *آثار مصر الإسلامية منذ الفتح العربية وحتى نهاية العصر الفاطمي*، ٢٠١١م، ١٨.

[٥٠] طريقة الصب في القالب: يتم خلط مادة الطين اللبن وهو بالحالة اللينة ويتم صب الطين في قوالب بالشكل المطلوب وبعد أن تجف يتم رفع القوالب إلى الجدران ويتم لصقه من خلال مادة طينية أيضاً انظر: خليل، راويه، *دراسات في الفنون الإسلامية*، ٣٣

[٥١] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٣-٥٤٤.

[٥٢] الوزان، *وصف افريقيا*، ٣٧٨.

مقبرة قديمة، وهذه المقابر تقع على بعد ستة كيلومترات من مدينة جاو القديمة، أو المدينة الأثرية[٥٣]. وتتميز هذه القبور بوجود نصب أثري منقوش عليه كتابات بالخط العربي، وقد كشفت التنقيبات الحديثة عن وجود قبرين ملكيين في هذه المنطقة، وعثربهما على ألواح مصنوعة من الرخام المجلوب من بلاد الأندلس[٥٤]. كما يوجد بهذه المنطقة قبر معروف باسم: "قبر ديارا"، وهو موجود على بعد ٤٠٠م من الموقع الذي يحمل ذات الاسم، وهو مشيد على هضبة، وعثر به على شواهد قبور وكتابات عربية بدائية، ونجوم خماسية منقوشة[٥٥]. وبحسب الروايات المحلية فإن هذه الكتابات ترجع لأيلام الحم التركي في هذه البلاد، ويقال إن هذه الكتابات تؤرخ لما قبل قدوم السوننكيين[٥٦] (نسبة لشعب السوننك)[٥٧].

قبر السلطان أسكيا محمد:

يعتبر "أسكيا محمد" (٨٩٩-٩٣٥هـ) أحد أعظم الحكام في تاريخ غرب أفريقيا، وهو مؤسس الحقبة الثانية من تاريخ سلطنة صنغي التي تعرف بـ"عصر الأساكي"[٥٨]. وقد اشتهر هذا السلطان بـ"محمد طوري"، أو "توري" نسبة لعائلته قبل أن يرتقي العرش في بلاده[٥٩]. ثم عُرف باسم: "الحاج محمد"[٦٠]، وكذا "الحاج محمد سكية"[٦١]، وارتبط اسم "الحاج" بهذا السلطان لأنه كان قد أدى فريضة الحج[٦٢]. وكان يحكم قبله "سُني بارو" (٨٩٨-٨٩٩هـ)، والذي لم يدم حُكمه سوى سنةً واحدة، وكان ارتقاء "سُني بارو" وسط أجواءٍ مُضطربة، خاصةً بعد أن رفض "سُني بار" اعتناق الإسلام، وهو ما أشعل الأمور في البلاد[٦٣]. ولما وقع الصراع، هُزم السلطان "سُني بارو" في معركة قرب جاو سنة ٨٩٨هـ على يد قائد الجيش[٦٤]. وعلى

---

[٥٣] فيرني، *الأركيولوجيا* في افريقيا، ١٠١.

[٥٤] فيرني، *الأركيولوجياقي افريقيا*، ١٠١.

[٥٥] فيرني، *الأركيولوجيا في افريقيا*، ١٠١.

[٥٦] السوننك: قبيلة من فروع الماندنجو أو المالينكي في غرب أفريقيا، وينسب لهم تأسيس مملكة غانة.

[٥٧] فيرني، *الأركيولوجيا في افريقيا*، ١٠١.

[٥٨] انظر: كعت، *تاريخ الفتاش*، ٢٩؛ السعدي، *تاريخ السودان*، ٦٤؛ اباظة، "القضاء في صنغاي"، ٣٥٠-٣٥١؛ الباز، *دراسات في تاريخ بلاد المغرب والسودان*، ٣٩. وللمزيد عن مملكة صنغي، سيسوكو، الصنغي، ٢٠٠. وانظر: Fage, J. D., *A History of West Africa,* 26-31

[59] Spencer J. Trimingham, History of Islam in West Africa, Oxford Paperback, London, 1975, 237.

[٦٠] الوفراني، محمد الصغير بن الحاج بن عبدالله، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م ، ٨٩-٩٠.

[٦١] الوفراني، *نزهة الحادي*، ٨٩.

[٦٢] باز، *دراسات في تاريخ المغرب والسودان*، ٣٧٨.

[٦٣] س. مودو سيسوكو، *صنغي من القرن ١٢ الى القرن ١٦م*، ٢٠٦، وانظر أيضا: باز، كرم الصاوي، الصراع بين العرش *والعلماء في صنغي*، ٢٠٣-٢٠٧.

[٦٤] سيسوكو، *صنغي من القرن ١٢ الى القرن ١٦م* ، ٢٠٦-٢٠٧.

هذا صار "طوريه" حاكم البلاد، ثم اشتهر بـــ"أسكيا محمد"، وهو يُعتبر من أعظم السلاطين في تاريخ غرب أفريقيا، إذ شهدت "صنغي" في أيامه أزهى عصورها، وأقوى مراحل ازدهارها[٦٥]. وشاد أسكيا قبرًا ليدفن به، وهو بناءٌ مقام على طراز معماري فريد، ويُعرف القبر بـــ"القبر الهرمي"، بينما يطلق عليه آخرون: "البرج الهرمي"[٦٦]، وكذلك: "البناء الهرمي"[٦٧] وهو بناءٌ معماري رائع بمقاييس هذه البلاد، ويشهدُ على قوة وثراء "سلطنة صنغي" أيام "أسكيا"، والتي ازدهرت خلال القرنين ٩-١٠هـــ من خلال السيطرة على التجارة الصحراوية[٦٨]. ويُشكل قبر أسكيا بناءً مميزًا داخل "مجموعة معمارية" تضم العديد من المباني، والتي تُظهر طرازًا غير مسبوق في العمارة الأفريقية، ويعتقد أنه بعد عودة أسكيا محمد من رحلة الحج، صار مُتشبعًا بالتقاليد العربية الإسلامية[٦٩]. ومن الواضح أن أسكيا محمد اتخذ لنفسه قبرًا على طراز طراز هرمي على غرار أهرامات الفراعنة، وهو أمرٌ لايزال يُشكل لغزًا. ومن ثم يُمثل قبر "أسكيا محمد" طرازًا معماريًا يضم مزيجًا من تقاليد العمارة المصرية القديمة، وهو "الشكل الهرمي" المعروف، وكذلك تقاليد العمارة الأفريقية التقليدية[٧٠].

شكل ٨: صورة تظهر مخطط المجموعة المعمارية للسلطان أسكيا محمد

نقلاً عن: Le Tombeau de Askia a Gao, P. 15

ولاشك أن "الطراز الهرمي" القديم الذي شاده ملوك مصر يحمل في طياته العديد من الرموز، والدلالات الدينية، واللاهوتية بحسب معتقدهم[٧١]، ولاسيما من خلال إيمانهم بعقيدة الخلود والأبدية، ومن ثم

[٦٥] سوف يكون لنا حديث مفصل عن قبر السلطان أسكيا محمد فيما بعد.

[66] Le Tombeau des Askia Gao – Mali: Patrimoine Mondial, Direction Nationale du Patrimoine Culturel, Carter Edition, Gao, 2005,. 9.

[67] Tomb of Askia, Unesco Region, World Heritage – Africa, 2004, 1.

[68] Tomb of Askia, 1.

[69]: Tomb of Askia, 1.

[70] Le Tombeau des Askia Gao – Mali:, 9.

[٧١] فخري، أحمد، *مصر الفرعونية*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ٤٥.

رغبتهم في وضع أجساد ملوكهم في بناء ضخم (على غرار الهرم) لحمايته[٧٢]. ويعتقد أنه كانت لدى "أسكيا" خلال مدة انتظاره بالقاهرة الرغبة في اكتشاف القاهرة، وفك طلاسم هذه المدينة العريقة[٧٣]. وتولدت لديه ثمة رغبةٌ مُلحة في أن يُشيد له المهندسون قبراً على غرار "الطراز الهرمي" المُبهر الذي شاهده بمصر، وإن كان يدرك أنه ليس بالإمكان مُحاكاة أهرامات الفراعنة. وقد أحضر "أسكيا محمد" معه خلال عودته من رحلة الحج مهندسًا معماريًا من بلاد الأندلس، ليقوم بالإشراف على بناء قبره[٧٤]. ثم جمع "أسكيا محمد" لبناء هذا القبر مئات من المعماريين، والبنائين، والعمال المحليين لاسيما من منطقة تدعى: "ماسينا" التي تقع بالقرب من دلتا نهر النيجر، ثم عين أسكيا المعماري الأندلسي ليشرف على البناء[٧٥].

شكل ٩: صورة تظهر قبر السلطان أسكيا محمد بمدينة جاو

نقلاً عن: Le Tombeau de Askia a Gao,15

وقيل إن أكثر من مائة عامل وبنَّاء أحضرهم السلطان من "ماسينا" ليبنوا قبره، وفيما يبدو أن بنائي تلك المنطقة كانت لهم شهرة ومهارة في البناء[٧٦]. ويرى بعضُ الدارسين أن قبر أسكيا يشهدُ بجلاء على حلقات التواصل الإبداعية والتأثير والتأثر الحضاري بين كل من شعب صنغي والعرب والبربر، وكذلك التأثيرات المعمارية المصرية القديمة على بلاد السودان الغربي[٧٧].

---

[٧٢] انظر: إدواردز، *أهرام مصر*، ترجمة: مصطفى أحمد عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ٤٢-٤٣. وللمزيد، انظر: Toby Wilkinson the Thomas & Hudson dictionary of ancient Egypt, Thomas & Hudson world of art, London, 2005, 195.

[٧٣] ابن خلدون، عبدالرحمن، *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، دارالكتاب اللبناني للطباعة، بيروت، ١٩٧٩م، ٢٦٥.

[74] Le Tombeau des Askia Gao – Mali: 9.

[75] Le Tombeau des Askia Gao – Mali: 9

[77] Le Tombeau des Askia Gao – Mali: 4.

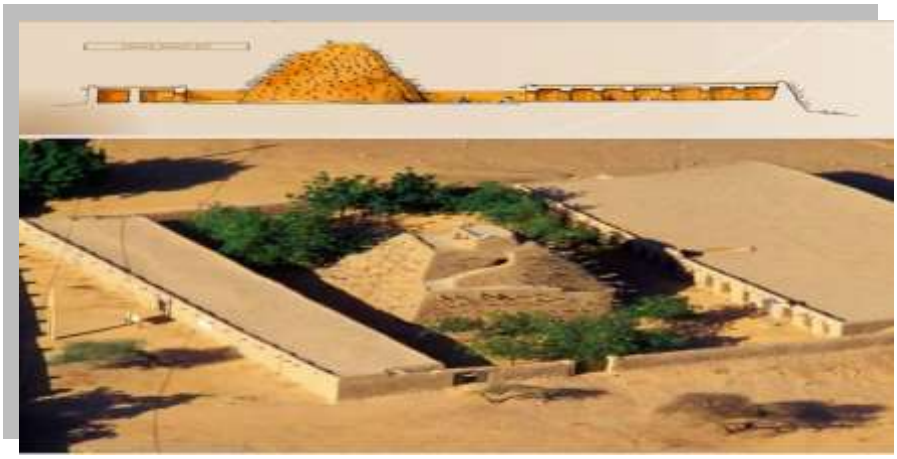

شكل ١٠: يظهر المجموعة المعمارية للسلطان أسكيا محمد وفي منتصفها قبره الهرمي في جاو

نقلاً عن: Le Tombeau de Askia a Gao, P. 18

ويعتبر قبر أسكيا جزءً من "مجموعة معمارية"، ولهذا يُطلق عليه الهرم المركزي[٧٨]. وربما تلك التسمية أطلقها البعض على اعتبار أن ذلك "القبر الهرمي" هو البناء الرئيس داخل هذه "المجموعة المعمارية"، ومن ثم فهو يقع في موضع مركز داخل هذه المجموعة، هذا رغم وجود جبانة أخرى ملحقة بها. ويلاحظ أن هذا "البرج الهرمي" هو أعلى بناء في المنطقة التي شيد بها، وكان هذا الموقع المجاور للقبر يُستخدم في إقامة صلاة الجماعة لسكان "جاو"، وكان يأتي إليه السكان القاطنون في القرى التي تحيط بها[٧٩]. وتتميز العمارةُ التقليدية في الممالك الإسلامية الأفريقية بالبساطة، وتوافقها مع البيئة المحلية، ولهذا كان يعتمد سكان غرب أفريقيا في بناء ما يريدون من منشآت كالبيوت والمساجد..الخ على الطين (اللبن) كمادة رئيسية[٨٠]. ولعبت هذه "المجموعة" لاسيما المسجد والقبر دورًا في المناسبات الإسلامية في "جاو"، وكان "أسكيا" يستخدم هذا الموضع للصلاة خاصة الصلوات الجامعة، ولهذا كان يُطلق عليه مسجد أسكيا[٨١]. ويتمتع قبر "أسكيا" بحسب البعض بقداسة كبيرة بين السكان، ولعل ذلك من تأثيرات "الفكر الصوفي" المنتشر في هذه البلاد، بالتبرك والتوسل بقبور الأولياء، والصالحين، وهي أمور ينكرها الدين[٨٢]. وجدير بالذكر أنه أطلق على تلك "المجموعة" اسم "مسجد أسكيا"، وهي تسمية مفضلة لسكان "جاو"، أما تسمية قبر أسكيا فهي حديثة، وترجع للحقبة الاستعمارية في القرن ٩هـ/١٥م[٨٣]. ولاشك أن قبر "أسكيا" يتوافق مع البيئة الأفريقية المحلية التي عاش فيها هذا السلطان ذائع الصيت، كما يُشكل القبر بشكل واضح لاجدال فيه أحد نماذج تأثيرات العمارة المصرية، ومظاهرها، التي كانت قد ذاعت في

78 Tomb of Askia, 7.

79 Le Tombeau des Askia Gao – Mali:, 9.

80 Tomb of Askia, 1.

81Tomb of Askia, 11.

٨٢ وللمزيد عن أهمية قبر السلطان أسكيا وقداسته في بلاد غرب أفريقيا، انظر:

Encyclopedia Britanica: The Songhai Empire the Rise and Fall of Great West African Empire, 4.

83 Le Tombeau des Askia Gao – Mali 11.

مناطق غرب أفريقيا، وعلى هذا فإن عمارة هذا القبر تصور مزيجًا معماريًا وأثريًا فريدًا بين من الفن المصري القديم، والفن الأفريقي التقليدي بسماته التقليدية، وهذا القبر يشبه لحد كبير المصاطب المصرية، وما يُعرف بالأهرامات ذات "الطراز المدرج" كأهرامات سقارة. وقبر أسكيا محمد أقرب لها من ناحية بساطة التصميم، والحجم مقارنة بأهرامات الجيزة. ويتميز قبر أسكيا بأنه مشيدٌ من الطوب اللبن، ومغطى بطبقة من الطين على عادة المنشآت المعمارية في غرب أفريقيا[٨٤]. ورغم أن "أسكيا" انبهر بعمارة الأهرامات، وضخامتها، وطرازها المعماري، راودته فكرة تقليد بناء تلك الأهرامات بشكل أكثر بساطة يتوافق مع الامكانيات المتاحة له[٨٥]. ويبلغ ارتفاع القبر حوالي١٧م، وحوالي ١٥م على الجانبين الشرقي والغربي، وحوالي ١٢م عند الجانبين الشمالي والجنوبي، وهو يقع بين المباني التي تؤدي المسجدين، أحدهما خاص بالرجال، والآخر للنساء[٨٦]. ويوجد سلم يبدأ من الركن الشرقي، ثم ينتهي ناحية الغرب، ويؤدي لأعلى، أي الجزء العلوي من القبر، ويتم ذلك عبر أحد الممرات التي تؤدي للمدخل الداخلي لهذا القبر، حيث توجد "غرفة الدفن" الخاصة بالسلطان[٨٧].

رابعًا– نماذج من العمارة في مدينة تمبكتو:

تقع تمبكتو في مالي حاليًا، وتذكر المصادر هذه المدينة باسم: تنبكت[٨٨]، وتُعرف أيضاً باسم: "تمبكت"، وكذلك: "تمبكتو" في الكتابات الغربية لاسيما الفرنسية منها، وتقع المدينة شمال بماكو عاصمة مالى بحوالى ١٣٠٠ كم، عند الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى[٨٩]. ويذكرها ابن بطوطة في روايته باسم: تنبكتو، أي بميم مكان النون[٩٠]. يذكر الوزان أن اسم "تمبكتو" هو اسم حديث العهد، وأن باني

---

[84] Ibid,.8 : للمزيد عن قبر أسكيا محمد، انظر

[85] Le Tombeau des Askia Gao – Mali: 9.

من ناحية التفاصيل المعمارية، وكذا بحسب الطراز المعماري، والدقة التي شيد بها هذان الطرازان. ويكفي أن نقول أن هرم خوفو ارتفاعه الحالي أكثر من ١٣٨م، ويزيد ارتفاعه عن قبر أسكيا بأكثر من ٧٠ مرة.

[86] Tomb of Askia, 7.

[87] Tomb of Askia, 7.

[٨٨] السعدي، *تاريخ السودان*، ٢٠-٢١؛ وانظر أيضا: الدالى، الهادى المبروك، *التاريخ الحضارى لأفريقيا فيما وراء الصحراء: من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر* ، ط.١، طرابلس، ٢٠٠٠م، ٩٩وللمزيد عن تمبكتو، انظر: زكي، عبدالرحمن، *تاريخ الدول الإسلامية السودانية*، المؤسسة العربية الحديثة، ١٠٩.

[٨٩] انظر ويقال ان اسم تنبكت أو تمبكت مأخوذ من اسم امرأة كانت تسكن فى هذه المدنة قديما، وكانت المرأة تدعى "بكت"، وكانت امرأة ذات مكانة وشهرة بها ، ثم اضيف الى اسمها المقطع "تن" ، وهو يعنى بلغة الزنج "مكان"، أى أن اسم هذه المدينة يعنى "مكان (المرأة التى تدعى) بكت" الدالى، *التاريخ الحضارى لأفريقيا*، ١٠

[٩٠] ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن ابراهيم، *رحلة ابن بطوطه(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)*، جـ٢ ، المكتبة التوفيقية، د.ت ، ٦٢٣.

هذه المدينة السلطان "منسا سليمان"[٩١]، ومن المعلوم أنه هو ذاته السلطان المعاصر لرحلة ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ) لدولة مالي، أي منتصف القرن ٨هـ/١٤م. بينما آخرون زمن تأسيس تمبكتو بحوالي القرن ٥هـ/١١م (حوالي سنة ١١٠٠ ميلادية)[٩٢]. وتبعد مدينة تمبكتو حوالي ١٠ ميلا عن ضفاف " نهر النيجر[٩٣]، كما أنها تبعد عن مدينة "جاو" Gao (عاصمة صنغي) حوالى ١٢ مرحلة، وتقع تمبكتو إلى الغرب من جاو، وهي تبعد عن مدينة ولاتة (إيولاتن) بحوالى مسيرة خمسة عشرة يوما[٩٤]. وكانت مدينة ولاتة ذات شهرة أكبر قبل تمبكتو، غير أن ازدهار تمبكتو جعل أهمية ولاتة، ومكانتها في التجارة الصحراوية تقل[٩٥]. ويذكر المؤرخ السعدى أن مدينة تمبكتو (تنبكت) تأسست اسلامية، وكانت دوما فى حصن الاسلام في غرب أفريقيا منذ بداية تأسيسها، وما تدنست بالوثنية قط "ولاسجد على أديمها قط لغير الله"[٩٦]. وتشير أكثر الآراء إلى أن مدينة تمبكتو كانت قد تأسست في حوالي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[٩٧]. وكان تأسيس هذه المدينة على يد مسلمي الطوارق (التوارق)، وهم سكان الصحراء الكبرى، وهم من البربر[٩٨]. وعن تأسيس المدينة، يقول السعدي: "فنشأت على أيدي توارق مقشرن في آواخر الخامس من الهجرة[٩٩]. وتمتعت تمبكتو بمكانة تجارية واقتصادية كبيرة فى بلاد السودان الغربى، حيت أضحت سوقاً تجارياً كبيراً، ومقصداً للقوافل التجارية القادمة من المغرب وشمال أفريقيا، وكان يفد عليها الرحالة بطريق الهند، وتقصدها قوافل التجارة من المغرب الأقصى، وطرابلس، وسرعان ما اقتفى العلماء أثر التجار، فكانوا يفدون لتمبكتو من مصر، وغدامس، وفاس، وبالسوس، وغيرها[١٠٠]. وعن قدوم ابن بطوطة لهذه المدينة: "ثم سافرنا إلى تنبكتو، وضبط ايمها بضم التاء المعلوة، وسكون النون، وضم الباء الموحدة، وسكون الكاف..وبينها وبين النيل (يقصد نهر النيجر) أربعة أميال"[١٠١]. وفي أيام زيارة الرحالة ابن بطوطة لهذه المدينة، كان أكثر سكانها من بربر مسوفة،

---

[٩١] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٣٩.

[٩٢] حسن، *انتشار الإسلام*، ٢١٨.

[٩٣] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٣٩.

[٩٤] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا*، ٩٩.

[٩٥] حسن، *انتشار الإسلام* ، ٢١٩.

[٩٦] السعدي، *تاريخ السودان*، ٢٠؛ حسن، *انتشار الاسلام*، ٢١٩.

[٩٧] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا*، ٩١.

[٩٨] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا* ، ٩١.

[٩٩] السعدي، *تاريخ السودان*، ٢٠.

[١٠٠] حسن، *انتشار الإسلام*، ٢١٩.

[١٠١] ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة*، ٦٢٣.

وهم المعروفون باللثام[١٠٢]. وأعجب "الوزان" (وهو "ليو الأفريقي") بتمبكتو لما زارها إبان القرن ١٠هـ/١٦م، وقد ذكر أنها مدينة عامرة بالحوانيت، وتعج بكل من الصناع والتجار، لاسيما المنتجات والسلع القادمة من المراكز التجارية في أوروبا والتى كان يحملها تجار المغرب القادمين من الشمال[١٠٣]. وكانت تمبكتو من أهم المراكز التجارية التى تتم فيها "تجارة الذهب"، وهى أحد أهم مراحل الطريق المعروف باسم طريق الذهب، وكانت تخرج منها أربعة طرق تجارية كبرى، الأول: وكان يمر بجاو، وبلاد الكانم عند بحيرة تشاد، ثم مصر[١٠٤]. أما الطريق الثانى: كان يمر به التجار شمالاً حتى مدينة أفريقية، وهي القيروان. أما الثالث: ويمر عبر سودان وادى النيل، لاسيما القادم من "درب الأربعين"، ثم دارفور، وغرب سودان وادي النيل. بينما الطريق الرابع: كان يمر من والى سجلماسة بالمغرب الأقصى[١٠٥]. والطريق الأخير هو الأشهر، ولهذا عرف بـ"طريق الذهب"، لأنه أقرب طرق شمال أفريقيا إلى أسواق الذهب في "تمبكتو"[١٠٦]. وكانت "تمبكتو" تسيطر على الذهب القادم من المناجم المحلية، والمجاورة لها كتلك التي تقع في "فولتا السوداء" Black Volta، وكذلك ذهب "غابات الأكان" Akan Forests[١٠٧]. ويشير "كماكفيدي" إلى أن تمبكتو وجنى صارتا محطتى قيام للقوافل التى كانت تخترق الصحراء فى اتجاه الشمال، نحو شمال أفريقيا[١٠٨]. ونظرا لأهمية تمبكتو فى "تجارة الذهب"، اهتم الأوروبيون بها منذ القرن ٩هـ/١٥م، لاسيما عن طريق تجار فلورنسا[١٠٩].

---

[١٠٢] ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة* ، ٦٢٣.

[١٠٣] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠-٥٤١.؛ وانظر: حسن، *انتشار الإسلام*، ٢٢٠.

[١٠٤] حسن، *انتشار الإسلام*، ٢٢٠.، وللمزيد عن طريق التجارة عبر الصحراء، انظر: الصاوي، نظم التجارة الصحراوية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في الفترة من القرن (٨-١٠هـ/١٤-١٦م) (دراسات في تاريخ بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط،١٩٩وما بعدها.

[١٠٥] حسن، انتشار الإسلام٢٢٠.

[١٠٦] للمزيد عن طريق الذهب، انظر: باز، طريق الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب (دراسات في تاريخ بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط في العصر الإسلامي، ٢٩٤ وما بعدها.

[١٠٧] ماكفيدى، أطلس ، ١٠٥.

[١٠٨] ماكفيدى، أطلس ، ١٠٥.

وللمزيد عن هذه المدينة، وأهميتها في حركة التجارة الصحراوية، انظر:

Willie F., Page: *Encyclopedia of African Historty*,. 219-220.

[١٠٩] دفى، جيمس ، *البرتغال فى أفريقيه*، الدار القومية للطباعة والنشر، ترجمة: جاد طه ، القاهرة، د.ت، ٢٦.

القصور، والبيوت، والمدارس، والحوانيت في تمبكتو:

تتميز العمارة في تنبكتو بكثرة المساجد، والحوانيت، والبيوت السكنية والتي تعكس ازدهار المدينة، ويغلب على عمارة تمبكتو الطابع المغربي بشكل واضح[١١٠]. وقد اشتهرت "تمبكتو" بالعمارة الجميلة التي تتوافق مع الطبيعة والبيئة الأفريقية البسيطة، ومن ثم تنوع طرز العمارة الموجودة بها بشكل أو بآخر، ولاشك أن ازدهار تمبكتو الاقتصادي بفضل الازدهار التجاري، ساعد على ازدهارها المعماري، حيث حلت البيوت المشيدة بالطوب اللبن محل الأكواخ المقامة من غصون الأشجار، والقش، وزاد حكام مالي في بناء المساجد بالمدينة، حيث بني فيها مسجد كبير، ثم شيد آخر شمال مدينة تبكتو في سنكورة (سنكوري)[١١١]. ولدينا من القرن ١٠هـ/١٦م بعد المصادر التي تتحدث عن طرز العمارة في تمبكتو، ولعل من أهمها رواية الوزان: "وبيوت تمبكتو هي أكواخ مصنوعة من أعمدة مطلية بالطين مع سقوف من القش"[١١٢]. بينما في رواية السعدي: "فأول الحال كانت مساكن الناس في زريبات الأشواك، وبيوت الأحشاش، ثم تحولوا غن الزريبات إلى الصناصن"[١١٣]. وهو ما يشير لما كانت عليه مساكن المدينة في بدايتها، وقبل ازدهارها. وفي أيام منسا موسى (٧١٢-٧٣٨هـ)، شيد المهندس الأندلسي أبواسحاق الساحلي الذي جاء مع منسا موسى خلال رحلة الحج قصر خاص بهذا السلطان، وهوما ساهم في ازدهار تمبكتو الاقتصادي والثقافي في ذلك الوقت[١١٤]. وعن هذا القصر الملكي، يقول الوزان: "كما أن هناك قصرا كبيرا بناه المهندس نفسه حيث يسكن السلطان"[١١٥].

وكانت تمبكتو تتميز بكثرة الحوانيت والدكاكين نظرا لأهميتها التجارية، ولأنها كانت من أكبر المراكز التجارية في غرب أفريقيا، وكانت مقصدا رئيسا للتجار شمال أفريقيا لاسيما العرب والبربر

---

[١١٠] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا*، ١٠٤.

[١١١] وللمزيد عن عمارة تمبكتو، انظر: الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠؛ وانظر كذلك: زكي، *تاريخ الدول الإسلامية*، ١٠٩-١١٠.

[١١٢] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠.

[١١٣] السعدي، *تاريخ السودان*، ٢١.

[١١٤] زكي، *تاريخ الدول الإسلامية السودانية*، ١١٠.؛ وعن عمارة تمبكتو يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن: "وقد أنشئت في المدينة أبنية حسنة، وبنيت من حولها الأسوار، وحلت المساكن المبنية من اللبن محل الأكواخ المقامة من غصون الشجر والقش، وبنى في تمبكتو مسجد آخر شماليها. حسن، *انتشار الاسلام*، ٢١٩.

[١١٥] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠.

الباحثين عن الذهب[١١٦]. كما كانت تمبكتو تتميز بكثرة حواتيت الحاكة والخياطين الذي يعملون بصناعة المنسوجات من قماش القطن[١١٧]. ولاريب أن تمبكتو كانت تكثر بها دور سباكة الذهب، وهو ما يبدو جليا من خلال رواية المصادر التي تتحدث عن كثرة وجود العملة وسبائك الذهب بأسواقها[١١٨]. وبحسب بعض الإشارات، فإن ازدهار العمارة في تمبكتو كان نذير خراب على مدينة أخرى في غرب أفريقيا اسمها: "بير"[١١٩]. وقد كانت أسوار تمبكتو تتميز بأنها ليست ذات ارتفاعات، وكان الواقف خارج أسوارها يمكنه أن يرى ما بداخل المدينة[١٢٠]. كما اشتهرت تمبكتو بوجود المدارس، ويقصد بها كتاتيب العلم والتي لاتزال موجودة حتى يومنا هذا بمالي، وغيرها من دول غرب أفريقيا الإسلامية، ومن ثم لم تكن تلك المدارس في روعة عمارتها، وضخامة حجمها كما في القاهرة وفاس، وغيرها من حواضر الإسلام الكبرى[١٢١]، لكن من اللافت أن المصادر الأفريقية تذكر تلك الأماكن المخصصة للعلم بالمدارس، أو المدرسة.

القبور الأثرية في تمبكتو:

تتميز عمارة "تمبكتو" أيضا بكثرة وجود القبور الأثرية التي وردت في بعض المصادر على قلتها، ولعل منها القبور الخاصة بفقهاء وعلماء، وقضاة "تمبكتو": قبر سيدي يحيى التادلي صاحب المسجد المشهور بالمدينة[١٢٢]. وكذلك بها قبر الفقيه المعروف القاضي محمود بن عمر أقيت[١٢٣]. وقبر الفقيه "عثمان الكابرى"، ويوجد قبره بـ"مسجد كَبَر"[١٢٤]. ومن أشهر قبور في تمبكتو: قبر المهندس "أبي اسحاق الساحلي" الذي كان معاصرا لأيام منسا موسى، وجاء معه لمملكة مالي خلال عودته من الحج[١٢٥]. يقول ابن بطوطة: "وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق أبي اسحاق الساحلي الغرناطي، المعروف ببلده

---

[١١٦] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠. يقول الوزان: "وبها كثير من دكاكين الصناع، والباعة، ولاسيما حاكة قماش القطن، وتصل أقمشة أوروبا إلى تمبكتو، ويجلبها تجار من بلاد البربر. الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠.

[١١٧] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠.

[١١٨] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠.

[١١٩] السعدي، *تاريخ السودان*، ٢١.

[١٢٠] السعدي، *تاريخ السودان* ، ٢١.

[١٢١] السعدي، *تاريخ السودان*، ٥١

[١٢٢] كعت، *تاريخ الفتاش*، ٩١.

[١٢٣] كعت، *تاريخ الفتاش* ، ٩١.

[١٢٤] كعت، *تاريخ الفتاش* ، ٩١.

[١٢٥] ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطة، ٦٢٣.

بالطويجن"[١٢٦]. كما أن بمدينة تمبكتو قبر لأحد كبار التجار المصريين، وهو من الإسكندرية، وكان اسمه: سراج الدين بن الكويك[١٢٧]. واستدان منه "منسا موسى" بعض الأموال لما كان بالقاهرة من التاجر المصري، على أن يعطيها له بعد العودة لبلاده من الحج (٧٢٤هـ)، وشاءت ارادة الله أن يموت التاجر المصري ابن الكويك وهو في مملكة مالي، ثم دفن في تمبكتو[١٢٨]. وعن قبر هذا التاجر المصري، يقول ابن بطوطة: "وبها قبر سراج الدين بن الكويك، أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية"[١٢٩]. وتشير بعض الكتابات الغربية لوجود مقابر لليهود بمدينة تمبكتو، ويحدد البعض منهم وجود هذه المقابر في منطقة "تان- ديرما"[١٣٠]، يقول فيرني: "وشرق تان ديرما يوجد مدفن يصفه السكان المحليون بأنه مدفن لليهود (يورمي). ولم يخضع الموقع حتى الآن للدراسة المعمقة، لكن المسألة تستق الاهتمام، فوجود مجموعات يهودية في منطقة تمبكتو مؤكد من عدة مصادر[١٣١]. ويمكننا أن نشير في هذا الصدد لوجود بعض اليهود في الممالك الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى، وكانوا يعملون في التجارة. ومن المعلوم أن المصادر تتحدث عن يهود ولاتة (ايولاتن)، والصراع الذي وقع بينهم وبين الفقيه محمد بن عبدالكريم المغيلي لما شعر بتوغلهم بشكل كبير، فطلب من أسكيا محمد سلطان صنغي أن يطردهم من المدينة[١٣٢].

جامع القاضي يحيى:

يعتبر مسجد "القاضي يحيى" من أقدم المساجد التي شيدت في "تمبكتو"، إن لم يكن الأقدم على الإطلاق في هذه المدينة، ويعرف أيضا: بمسجد "سيدي يحيى التادلي"[١٣٣]. بنى هذا المسجد أحد ملوك "الطوارق" (التوارق)، وهم المعروفون بـ"طوارق مقشرن"، وكان بناؤه بحسب البعض قبل أيام السلطان منسا موسى (٧١٢-٧٣٨هـ)[١٣٤]. قد أسند بناء هذا المسجد لأحد الشيوخ ليقوم بإمامة الصلاة داخل

---

[١٢٦] ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه، ٦٢٣.

[١٢٧] ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه، ٦٢٣

[١٢٨] وعن ذلك يقول ابن بطوطة: "وكان السلطان منسى موسى لما حج، نزل بروض لسراج الدين هذا ببركة الحبش خارج مصر، وبها ينزل السلطان، احتاج إلى مال، فتسلفه من سراج الدين..فتوج سراج الدين لاقتضاء ماله، ومعه ابن له. فلما وصل تنبكتو أضافه أبواسحاق الساحلي، فكان من القدر موته تلك الليلة. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطه، ٦٢٣-٦٢٤.

[١٢٩] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطه، ٦٢٣.

[١٣٠] فيرني، *الأركيولوجيا في أفريقيا*، ١٠١.

[١٣١] فيرني، *الأركيولوجيا في أفريقيا*، ١٠١.

[١٣٢] للمزيد عن الجالية اليهودية في غرب أفريقيا، انظر: الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤١.

[١٣٣] وللمزيد عن القاضي يحيى، وترجمته انظر: كعت، *تاريخ الفتاش*، ٥٢؛ السعدي، *تاريخ السودان*، ٢٣.

[١٣٤] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا*، ١٠٥.

المسجد (حوالي نسة ٨٦٨هـ/١٤٦٢م)[١٣٥]، ولهذا اشتهر هذا المسجد باسم هذا الفقيه التنبكتي نسبة لمدينة تمبكتو. وعن ذلك يقول السعدي: "بني المسجد المعروف وجعل صاحبه وحبيبه الولي الفاضل، القطب الكامل، سيدي يحيى التادلي إماما فيه"[١٣٦]. أما عن شخصية القاضي يحيى الذي يحمل هذا المسجد اسمه، فهو من أصول أندلسية، ولهذا يقال له: سيدي القاضي يحيى الأندلسي التادلي[١٣٧]. أما نسب هذا القاضي كاملا بحسب المصادر السودانية: سيدي يحيى بن عبدالرحيم ابن عبدالرحمن الثعالبيبن يحيى البكايبن الحسن، ثم ينتهي نسبه إلى محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١٣٨]. عنه[١٣٨]. وقد كان هذا الفقيه ممن تولى الإمامة في هذا المسجد، كما أنه تولى منصب القضاء بمدينة "تمبكتو"[١٣٩]. وفي الغالب كان يطلق على مسجد القاضي يحيى اسم: "المسجد الجامع"، وكذلك اسم: "المسجد الكبير"، ولعل هذا ما يفهم من روايات بعض المصادر التاريخية.

شكل رقم ١١: يصور مسجد القاضي يحيى في تمبكتو

يقول السعدي: "ثم بنوا مسجد الجامع على حسب الإمكان، ثم مسجد سنكري كذلك، ومن وقف في بابهيومئذ يرى من يدخل في مسجد الجامع لأجل تخلية البلد من الحيطان والبنيان. وما ثبتت عمارته إلا في آواخر القرن التاسع، وما تكاملت البناء في الالتصاق والالتئام غلا في آواسط القرن العاشر في مدة

[١٣٥] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا* ، ١٠٥.

[١٣٦] السعدي، *تاريخ السودان*، ٢٣.

[١٣٧] كعت، *تاريخ الفتاش*، ٥٢.

[١٣٨] كعت، *تاريخ الفتاش*، ٥٢-٥٣. وللمزيد عن القاضي يحيى، انظر: السعدي، *تاريخ السودان*، ٤٧.

[١٣٩] كعت، *تاريخ الفتاش*، ٥٣.

أسكيا داوود بن الأمير أسكيا الحاج محمد"[١٤٠]. وقد كانت القبور ملاصقة لهذا المسجد من الخارج لاسيما من جهتي اليمين والمغرب "وتلك عادة السودان أهل المغرب لايدفنون أمواتهم إلا في رحاب مساجدهم، وجوانبها من الخارج"[١٤١].

جامع سَنكُري (سَنكُوري):

يُعرف هذا المسجد باسم "جنكري بير" باللغة المحلية، وهو مسجد مشيد على الطراز المغربي، وقد شاده السلطان الأشهر منسا موسى، أو كنكه موسى، وهو حاكم مالي، وقد بنى هذا المسجد بعد عودته من رحلة الحج المشهورة[١٤٢]. بينما بحسب روايات أخرى، فإن مؤسس هذا المسجد كانت سيدة من ذوات الحسب والنسب[١٤٣]. فيما يذكر محمود كعت صاحب الفتاش أن بناء المسجد تم حوالي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر للميلاد[١٤٤]. وعلى هذا فيما يبدو غير معروف بشكل محدد زمان بناء هذا المسجد الذي يعتبر من أشهر المساجد في بلاد غرب أفريقيا، ويقول الدكتور الهادي مبروك الدالي: "على أننا لم نعثر على تاريخ يحدد بناءه..ولربما كان بناؤه في القرن السادس أو السابع الهجريين (الثاني عشر أو الثالث عشر الميلاديين"[١٤٥]. وبحسب بعض المصادر السودانية، فإن منسا موسى أقام مسجدا في "تمبكتو" في سفره، وربما المقصود بذلك المسجد: "جامع سنكوري"، حيث تقول رواية صاحب زهرة البساتين: "ومن علامة صلاحه أنه كان يعتق كل يوم نفسا، وحج بيت الله الحرام، وبنى في سفره مسجد جامع تنبكت (تمبكتو).."[١٤٦]. لكن السؤال الذي ربما يتبادر للذهن في هذا الصدد، هل يقصد بهذه الرواية أن مسجد تمبكتو الذي أقامه السلطان منسى موسى تم قبل سفره للحج، أم خلال سفره للحج وهو ما لايمكن تصوره، أم أنه شاد هذا المسجد بعد العودة لبلاده من رحلة الحج، وهذا هو الرأي الراجح بالطبع. ويذكر الوزان في روايته حول هذا المسجد أنه يقع في وسط المدينة (تمبكتو)، وويصفه بأنه جامع مبني بحجارة منحوتة مع طين الكلس، وأن الذي بناه مهندس من بلاد الأندلس[١٤٧].

---

[١٤٠] السعدي، *تاريخ السودان*، ٢١.

[١٤١] السعدي، *تاريخ السودان*، ٥٦-٥٧.

[١٤٢] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا*، ١٠٤.

[١٤٣] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا*، ١٠٥.

[١٤٤] كعت، *تاريخ الفتاش*، ٥٢-٥٣.

[١٤٥] الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا، ١٠٥.

[١٤٦] كامرة، زهرة البساتين، ٢٠٣.

[١٤٧] الوزان، *وصف أفريقيا*، ٥٤٠.

شكل رقم ١٢: جامع سنكوري في تمبكتو

وفي رواية كعت (ت: منتصف القرن ١٠هـ/١٦م) عن هذا المسجد، وبناء منسا موسى: "ومن علامة صلاحه (أي منسا موسى) أنه كان يعتق كل يوم نفسا، وحج إلى بيت الله الحرام، وبنى في حجه مسجد جامع تنبكت"[١٤٨]. وتبدو أهمية "جامع سنكوري" من خلال مقارنة البعض بين هذا المسجد من جانب ومساجد الإسلام الكبرى الأخرى التي ذاع صيتها في المشرق والمغرب مثل الجامع الأزهر الشريف بالقاهرة، وجامع القرويين في فاس[١٤٩]. ولعل تلك المقارنة في حد ذاتها تؤكد أهمية جامع سنكوري خاصة، وفي غرب أفريقيا عامة، وما ناله هذا المسجد من شهرة حتى تتساوى مكانته بحسب البعض، ودوره العلمي والثقافي في غرب أفريقيا بالأزهر. وحتى يمكننا أن نتعرف على عمارة تمبكتو ومسجد سنكري بها، يقول عبدالرحمن زكي: "وكانت تلك المدينة بلاشك أحسن حالا من كاغ (جاو)، وكانت مبانيها مشيدة باللبن، منسقة، وطيبة، ومع ذلك فقد كانت أقل جمالا من عمائر المغرب، يزينها حسنا معهد سنكوري، والمسجد الكبير"[١٥٠].

[١٤٨] كعت، *تاريخ الفتاش*، ٣٢.

[١٤٩] الدالي، *التاريخ الحضاري لأفريقيا* ، ١٠٦.

[١٥٠] زكي، *تاريخ الدول الإسلامية* ، ١٥٦.

شكل رقم ١٣: صورة قديمة لمسجد سنكري في تمبكتو

ويتميز "مسجد سنكري" بالطراز المعماري المميز في غرب أفريقيا، فهو من الطوب اللبن على غرار المساجد الكبرى في: جني وجاو في مالي، وكذلك غيرها من المنشآت المعمارية الأخرى في هذه المنطقة من القارة الأفريقية. وعلى أية حال، فقد نال مسجد سنكري مكانة علمية وثقافية مهمة في غرب أفريقيا، وكان يأتيه طلاب العلم من العديد من ممالك غرب أفريقيا، حتى صار الانتساب له شرف ما بعده شرف، ولهذا يتحدث السعدي في كتابه "تاريخ السودان" عن علماء سنكري، وثرائهم، وميلهم للصدقات، بقوله: "ومن سادات أهل سنكري من روى أنه تصدق بألف مثقال ذهبا"[١٥١]. وعلى هذا ذاع صيت "مسجد سَنكُري"، وهو ما زاد من مكانة "تمبكتو" ذاتها، حتى صارت مدينة العلم الكبرى في غرب أفريقيا، كما استفاد المسجد من ازدهار تمبكتو بفضل تجارة الذهب[١٥٢]. وكان طلاب هذا الجامع يتشرفون بحمل اسم الجامع، ويقال لهم: طلاب سنكري"[١٥٣]. وكان يوجد عند باب "مسجد سنكري" موضع يقف عند الفقراء والمساكين من فقراء مدينة تمبكتو، وقد كان العلماء والأثرياء يعطون الصدقات على الفقراء عند باب هذا المسجد[١٥٤]، يقول السعدي: "وفرقها (أي الصدقات) على المساكين في باب مسجد سنكري.."[١٥٥].

[١٥١] السعدي، *تاريخ السودان*، ٤٧.

[١٥٢] زكي، *تاريخ الدول الإسلامية* ، ١٥٦-١٥٧.

[١٥٣] السعدي، *تاريخ السودان*، ٥١

[١٥٤] السعدي، *تاريخ السودان*، ٤٧.

[١٥٥] السعدي، *تاريخ السودان*، ٤٧.

شكل رقم ١٤: صورة لمسجد سنكري في تميكتو

وكان الناس في تمبكتو، وغيرهم من سكان غرب أفريقيا، يحرصون على تحصيل العلم على يد كبار العلماء ممكن يعطون دروس العلم في "جامع سنكري"، كما كانوا يحرصون على قراءة القرآن، والإكثار من ذلك في باحات هذا المسجد، وكان بعض كبار العلماء يطلبون من الطلاب والناس العاديين أن يقرأوا نصف حزب من القرآن الكريم في "جامع سنكري" لاسيما بعد صلاة العصر، وكذلك بعد صلاة العشاء[١٥٦].

[١٥٦] السعدي، *تاريخ السودان*، ٢٧.

الخاتمة:

وبعد هذه الإطلالة الأثرية التاريخية عن أهم نماذج العمارة الإسلامية في دولة مالي الإسلامية الواقعة في غرب أفريقيا، وتحديدا في الثلاث مدن التاريخية الكبرى بها، وهي: جاو، وجني، وتمبكتو، يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات المهمة، ومن أهمها:

– شهدت العمارة الإسلامية في غرب أفريقيا (أو بلاد السودان الغربي) ازدهارا بشكل أو بآخر لاسيما في المدن الكبرى التي لعبت دورا مهما في حركة التجارة الصحراوية خاصة تجارة الذهب، فكان ازدهار التجارة سببا في ازدهار العمارة في هذه المدن الأفريقية الإسلامية.

– شهدت مدن غرب أفريقيا تنوعا في طرز العمارة، وأشكالها، وأنماطها، وكذلك احتفظت ببعض السمات المعمارية التي تميزها عن غيرها من مدن العالم الأسلامي الكبرى الأخرى، وهي سمات تتوافق مع بساطة البيئة التي شيدت فيها تلك الأنماط المعمارية.

– كان للتأثيرات المشرقية والمغربية دورها في العمارة الأفريقية لاسيما التأثيرات المصرية والمغربية، وكذلك بعض التأثيرات الأندلسية في ذات الآن.

ثبت المصادر والمراجع

– ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن ابراهيم، *رحلة ابن بطوطه(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)*، ج.١، المكتبة التوفيقية، د.ت.

– Ibn Ba□ū□a, Mu□amad ibn □abdullah bin□ibrāhīm, *Ri□lat ibn ba□ū□a (tu□fat al-nu□ār fī ġarā□ib al-am□ār wa □□i□ib al-asfār)*, vol.1, al-maktaba al-tawfīqīya, d.t.

– ابن خلدون، عبدالرحمن، *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، دار الكتاب اللبناني للطباعة، بيروت، ١٩٧٩م.

– Ibn H□aldūn, □Abd al-Ra□mān, *al- Ta□rīf bi□ibn H□aldūn wa ri□latuh ġarban wa šarqan*, Dār al- kitāb al-libnānī li□l-□ibā□a, Beirut ,1979.

– إدواردز، أ.أ.س، *أهرام* مصر، ط.٢، ترجمة: مصطفى أحمد عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

– Idwārdiz, A.A.S, □ahrām Mi□r, 2nd ed, Translated by: Mu□□afā □a□mad □u□mān al-hī□a al-ma□rīya al-□āma li□l kitāb, cairo, 1999.

– البكري، ابي عبيد بن عبدالله بن عبدالعزيز، *المُغرب في ذكر أفريقية والمغرب* ، ط.١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت

– al-Bakrī, Aby □Ubaīd bin □Abdullah bin □Abd al-□Azīz, *al-Muġrib fī □kr ifrīqīya wa□l-Maġrib*, 1st ed , Dār al-kitāb al-islāmī,Cairo, d.t.

– البلاذري، أبوالحسن ، *فتوح البلدان*، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت.

– al- Bala□urī, Abū al-□asan, *Futū□al-buldān*,Dar al-fikr li□l- □ibā□a wa□l-našr, *d.t.*

– الدالي، الهادي المبروك، *التاريخ الحضارى لأفريقيا فيما وراء الصحراء*: من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، ط.١، طرابلس، ٢٠٠٠م.

– al-Dālī, al-Hādī al-Mabrwk, al-Tārī□al-□□ārī li□ifrīqyā fiymā wrā□ al- □a□arā□, 1sted , Tripoli, 2000.

– الدالي، الهادي المبروك، *مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا*، ط.١ ، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

– al-Dālī, al-Hādī al-Mabrūk, 1st ed, Mamlakat Mālī al-□islāmīya, w□ilaqatuhā ma□a al-Maġrib wa Libiā, 1st ed, Dār al-Multaqā li□l- □ibā□a wa□l-našr, Beirut, Lebanon, 2001.

– السعدي، عبدالرحمن بن عمران بن عامر، *تاريخ السودان*، مطبعة بردين، مدينة أنجي، ١٨٩٨م.

– al-Sa□dī, □Abd al-Ra□mān bin □Umrān bin □Amir, *Tārī□al-Sūdān*, Ma□aba□at bardīn ، madīnat An□ī, 1898.

– الشكري، أحمد ، *مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية*، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ١٩٩٧م.

– al-Šukrī, □a□mad, Mamlakat Ġānā w□ilāqatihā bil□araka al-murābi□īya, Ma□had al-Dirāsāt al- ifrīqīya, Rabat, 1997.

– القلقشندي، ابي العباس احمد، *صُبح الأعشى في كتابة الانشا*، جـــ٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

– al-Qalqašandī, Aby al-□Abās A□mad, □ub□ al-a□šā fī kitābat al-□inšā , vol.5, al-Hay□a al-□āma liqu□ūr al-□aqāfa, Cairo, 2005.

– القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، *آثار البلاد وأخبار العباد*، دار صادر، بيروت، د.ت.

– al-Qazwīnī, Zakarīya bin Mu□amad bin Ma□mūd, A□ar al-bilād wa□□bār al-□ibād, Dār □ādir, Beirut, d.t.

– الوزان، الحسن بن محمد، *وصف أفريقيا*، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، هيئة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

– al-Wazān, al-□asan bin Mu□ammad, *Wa□f ifrīqyā*, Translated by:□Abd al-Ra□man □amyda, Hay□a□al-kitāb, Cairo, 2005.

– الوفراني، محمد الصغير بن الحاج بن عبدالله، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م.

– al-Wafrānī, Mu□amad al-□aġīr bin al-□ā□bin □abdullah, *nuzhat al-□ādī bi□a□bār Mulūk al-qarn al-□ādī* , al-hī□h al-Ma□rīa al-□āmh lil-kitāb, cairo, 2014.

– باز، كرم الصاوي، *طريق الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب* (دراسات في تاريخ بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط في العصر الإسلامي)، الأفريقية الدولية، القاهرة، ٢٠١٦م.

– Bāz, Karam al-□awy, *□arīq al-□ahab wa□l taġīurāt al-□iqti□ādīya wa□l □i□timā□īya fī bilād al-sūdān al-ġarbī wa bilād al-maġrib* (Dirāsāt fī tārī□ bilād al-maġrib wa□l sūdān al-ġarbī wa al-□wsa□ fī al-□a□r al-□islāmī), al-ifriqīya al-duwalīya, cairo, 2016.

– .....، *نظم التجارة الصحراوية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في الفترة من* (دراسات في تاريخ بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط دراسات في تاريخ بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط في العصر الإسلامي)، الأفريقية الدولية، القاهرة، ٢٠١٦م.

– ....., Nuzum al-ti□ara al-□a□rawīya bīn al-maġrib al-□aq□ā wa□l al-sūdān al-ġarbī fī al-fatra min (Dirāsāt fī tārī□ bilād al-maġrib wa□l sūdān al-ġarbī wa al-□wsa□ fī al-□a□r al-□islāmī), al-ifriqīya al-duwalīya, cairo, 2016.

– بلولة، إبراهيم محمد أحمد ، *الإسلام في أفريقيا*، المؤتمر الدولي، ٢٠٠٦م.

– Bilwlā, Ibrāhīm Mu□amad □a□mad , al-islām fī ifrīqyā, al-Mū□tamar al-Dawlī, 2006

– حسن، سوزي اباظة محمد، "القضاء في صنغاي في عهد الأساكي"، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، ع. ٢٨، يناير ٢٠٠٥م.

– □asan, Sūzī □ābā□a Mu□amad, "al-Qa□ā□ fī □inġāy fī □ahd al-□asāky", Magallat al-mū□ri□al-ma□rī, college of Literaturel/ Cairo University, □adad28 , January2005.

– حسن، حسن ابراهيم ، *انتشار الاسلام فى القارة الأفريقية*، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م.

– H□asan, H□asan Ibrahīm, *Intišār al-islām fī al- qara al- ifrīqīya*, Maktabat al- nah□a al-mi□rīya, 1984.

–

– خداش، راضية آيت، مسجد *جينيه الكبير*، جريدة البيان الإمارتية، ديسمبر ٢٠١٢م.

– H□adāš, Rā□iā □ayat, *Mas□d □ynaīh al-kabīr*, □aridat al-bayān al-imāratīā, Dec 2012.

– خليل، راوية، *آثارمصر الإسلامية منذ الفتح العربية وحتى نهاية العصر الفاطمي*، ٢٠١١.

– H□alīl, Rāwya, *A□ar mi□r al-islāmīya mun□u al-□arabīya wa □tā nihayat al-□a□r al-fā□mī*, 2011.

– دي، ميديروس، *شعوب السودان*، تاريخ أفريقيا العام، جـــ٣، طبعة اليونسكو، لبنان، ١٩٨٨م.

– Dī, Mīdīrūs, *Šu□ūb al-sūdān*, Tārī□ifrīqyā al-□ām, vol.3, □ab□at al-yūniskū, Lebanon, 1988.

– دفى، جيمس ، *البرتغال فى أفريقيه*، الدار القومية للطباعة والنشر، ترجمة: جاد طه ، القاهرة، د.ت.

– Dafī, giyms, *al- Burtuġā fi ifrīqīya* al- Dār al- Qawmīa li□l- □ibā□a wa□l-našr, Translated by: Gād □ahā, Cairo, d.t.

– رشدي، جراية محمد، "الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث"، ، *رسالة ماجستير*، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة منتوري (قسنطينة)، ٢٠٠٨م.

– Rušdī, □irāya Mu□amad, "al-□a□arā al-□aza□irīā H□ilāl al-□a□r al- □a□arī al-□adī□, *Master Thesis* , College of Humanities and Social Sciences\ Mentouri University (Constantine), 2008.

– زكي، عبدالرحمن، *تاريخ الدول الإسلامية السودانية*، المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٦١م.

– Zakī, □abd al-Ra□mān, *Tarī□al-diwal al-islāmīya al-sūdanīya*, al-mū□asasā al-□arabīya al-□adī□ā, 1961.

– سام، وبرايل إبشتين، *كل شئ عن (الصحراء)*، ترجمة: مصطفى بدران، دار المعارف، مصر، طـــ٦، ١٩٨٩م.

– Sam& Beryl Epstein, *Kul šay□ □an(al-□a□arā□)*, Translated by: Mu□tafā Badrān, Dār al-ma□ārif bi mi□r, cairo, 6th ed, 1989.

– سيسوكو، س. م. ، *الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر*، تاريخ أفريقيا العام، جـــ٤، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٨٨م.

– Cisco, S.M, *al-□nġī min al-qarn al-□anī □ašr □ilā al qarn al-sadis □ašr* , Tārī□ ifrīqyā al-□ām, vol.4, al yuniskū, al- Matba□a al-ka□ūlikīya, Beirut, 1988.

- شافعي، فريد ، *العمارة العربية في مصر الإسلامية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جـ١، ١٩٩٤.

- Šāfi□ī, Farīd, *al-□imāra al-□arabīya fī Mi□r al-islāmīya*, al-Haī□a al-mi□rīya al-□āmma li□l kitāb, vol.1, 1994.

- صالح، عبدالصادوق ، *الفن الصخري في شمال الجزائر*، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت.

- □abd al-□ādūq, □āli□, *al-fan al- □h□rī fī šamāl al-□azā□ir*, Dīwān al-matbū□āt al-□āmi□īyam, d.t.

- طرخان، إبراهيم علي ، *امبراطورية غانة الإسلامية*، الهيئة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٧٠م.

- T□ar□ān, Ibrāhīm □Alī , Imbrā□ūrīt Ġāna al-Islāmīya, al-Hī□a al-mi□rīya al-□āmā li□l-ta□līf , Cairo, 1970.

- فخري، أحمد ، *مصر الفرعونية*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

- Fa□rī, □ a□mad, Mi□r al-Fir□uwnīya, maktabat al-□an□lw al-Mi□rīya, cairo, 1995.

- فيرني، روبير، *الأركيولوجيا في أفريقيا الغربية*، ترجمة: بوبه ولد محمد، نواكشوط، ٢٠٠٢م.

- Fīyrnī, Rūbīr, *al-□rkiūlū□ya fī ifriqyā al-ġarbīya*, Translated by: Būbā wild Mu□amad, Nouakchott, 2002.

- كعت، محمود، *تاريخ الفتاش*، مطبعة بردين، أنجي، ١٩١٣م.

- Ka□t, Tārī□ al-Fatāš, ma□ba□at bardīn, In□i, 1913.

- ويدنر، دونالد ل.، *تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء* ، ترجمة: علي أحمد فخري وشوقي عطا الله الجمل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ج.١، ١٩٧٦.

- Wydnar, Dwnāld L., *Tārī□ □ifrīqyā □anūb al- □h□arā*, Translated by:□alī □□mad Fa□rī& Šaūqī □a□āllah al- gamal, Mu□asasat si□il al-□arab, cairo, vol.10, 1976.

المراجع الأجنبية:

37- Gautier E. F.,*le Sahara*, Paris, 1928.

38- *Early Islamic Civilization and African Kingdoms: Core Knowledge History & Geography*, 2017.

39- Encyclopedia Britanica: *The Songhai Empire the Rise and Fall of Great West African Empire*,

40- Hugot H. J., *le Sahara avant le Desert*, Hesperides, Pars, 1974.

41- H. Lhot, *la Decouverte des Fresques du Tassili, Arthaut*, Paris, 1973.

42- Spencer Trimingham J., *History of Islam in West Africa, Oxford Paperback*, London, 1975

43- Fage J. D., *A History of West Africa*, Cambridge University Press, 1969.

44- De Pois J., *Geographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 1967.

45- Klessigue Sanogo: P*lan de Conservation et de Getion des Villes Anciennes de Djenne-Mali, Republique du Mali*, Ministere de la Culture

46- Dobler Lavinia & William A. Brown, *Great Rulers of the African Past, Zenith Books*, New York, 1965

47- *le Bureau Multi– Pays,* Unesco, Bamako, 2012

48- *Le Tombeau des Askia Gao – Mali: Patrimoine Mondial, Direction Nationale du Patrimoine Culturel*, Carter Edition, Gao, 2005.

49- *Tomb of Askia*: Unesco Region, World Heritage – Africa, 2004.

50- *The New American Desk Encyclopedia*: New York, 1984

51- Wilkinson T., *the Thomas & Hudson dictionary of ancient Egypt,* Thomas & Hudson world of art, London, 2005.

52 - Page Willie F., *Encyclopedia of African History & Cultures*, Vol. 11, New York, 2005, P. 208.